

الرياضة في العلاقات الدولية: بين القومية والكوسموبوليتانية  
Sports In International Relations: Between Nationalism and  
Cosmopolitanism

نورالدين لعلل

جامعة محمد خيضر - بسكرة (الجزائر)، noureddine.lassel@univ-biskra.dz

تاريخ النشر: 2021/10/29

تاريخ القبول: 2021/10/22

تاريخ الاستلام: 2021/09/26

### ملخص:

يستكشف هذا المقال الإمكانيات القوية والغامضة للرياضة من حيث صلتها بالسياسة والعلاقات الدولية بصفة عامة، وبالديبلوماسية العامة بصفة خاصة. كما يسلط الضوء على الدور المميز والمؤثر في كثير من الأحيان للمنظمات الرياضية الدولية، جنباً إلى جنب مع حكومات الدول وبعض الفاعلين الآخرين، من أجل تحقيق مكاسب قيمية، أو تجارية، أو سياسية.

وقد توصلت هذه الدراسة إلى أن الرياضة تعتبر أداة سلمية للتقارب، تسمح بالتنمية المتناغمة للعلاقات بين الأمم، كما تسعى لمحاربة العنصرية وإحلال السلام على الأرض. إلا أنه بالمقابل يتم توظيفها من قبل الأنظمة السياسية كل حسب طبيعته، "شمولي أو ديمقراطي"، من أجل تحقيق مكاسب دبلوماسية، أو لكسب شرعية مفقودة.

**كلمات مفتاحية:** الرياضة، القومية، العلاقات الدولية، الديبلوماسية العامة، الكوسموبوليتانية

### Abstract:

This article explores the powerful and mysterious potential of sport as it relates to politics and international relations in general, and to public diplomacy in particular. It also highlights the distinctive and often influential role of international sports organizations, along with state governments and some other actors, in order to achieve value, commercial, or political gain.

This study concluded that sport is a peaceful tool for rapprochement, which allows the harmonious development of relations between nations, and seeks to combat racism and establish peace on earth. However, on the other hand, they are employed by political regimes, each according to its nature, "totalitarian or democratic", in order to achieve diplomatic gains, or to gain lost legitimacy.

**Keywords:** Sports, Nationalism, International Relations, Public Diplomacy, Cosmopolitanism

## مقدمة:

تمثل الرياضة واحدة من أكثر حالات "العولمة" تقدماً، ويمكن القول إن هناك عدداً أقل من العوائق الثقافية والسياسية التي تحول دون تطوير التجارة والقوة الدولية في الرياضة مقارنة بالمجالات الأخرى. وهكذا كان هناك تغير في طبيعة السياسة الرياضية منذ نهاية الحرب الباردة. ومع بداية الألفية الثالثة بدأ الاعتراف أكثر بعالم أصبحت فيه المنظمات الرياضية الدولية والشركات عبر الوطنية في كثير من الأحيان أكثر قدرة على النفوذ والتأثير من الدول في مجالات الدبلوماسية والسياسات العالمية.

أحد الأبعاد المهمة في العلاقات الدولية هو الرياضة وأهميتها. إن ما يسمى بـ "الماركة المسجلة" العالمية للدول، وخاصة دول العالم الثالث التي ليس لديها الكثير لتفاخر به لبقية الوحدات الدولية، من الواضح أنها يمكن أن تعتمد بشكل كبير على العروض في الملاعب الرياضية وفي المناسبات الرياضية.

في هذا المجال، العديد من الجهات القومية والدولية لديهم استراتيجياتهم التسويقية وأساليب وطرق مدروسة لممارسة التأثير، حيث تلعب وسائل الإعلام الوطنية وعبر الوطنية دوراً بارزاً على جميع المستويات. وفي المنتصف تبذل الجماهير الشرهة من "القرية العالمية" قصارى جهدها للاستمتاع بما يُسمح لها بالاستمتاع به، ويتم استغلالها في كثير من الأحيان من أجل تحقيق أهداف وأجندات معينة. وتمس هذه العناصر، بدرجة أكبر أو أقل، في أماكن مختلفة وفي أوقات مختلفة، العلاقات الدولية بين الأمم والثقافات والمجتمعات.

فالرياضة في العلاقات الدولية تفتح أرضية تحليلية جديدة، وتشكل بداية نوع جديد من مجالات البحث في نطاق يعتبره العديد من السطحين مجرد لهُو.

وفي محاولة منا لتناول جانب من جوانب هذا المجال البحثي، فإنه يتطلب أن نطرح الإشكالية التالية:

**ما طبيعة وحدود الدور الذي تُؤطّف من خلاله الرياضة سياسياً على المستويين القومي والدولي؟**

وتتفرع عن هذه الإشكالية مجموعة الأسئلة الفرعية التالية:

ما علاقة الرياضة بالعلاقات الدولية؟

ما هي الدبلوماسية الرياضية؟

ما تأثير المنظمات العالمية الرياضية في التفاعلات الدولية؟

وهل الرياضة تعزز وتنمي المظاهر القومية، أم تعمل على تهمين عالمية القيم الإنسانية؟

ولقد جاءت الإجابة على هذه التساؤلات من خلال خطة مهيكلية في العناصر التالية:

### أولاً: الرياضة والعلاقات الدولية

في مقال كتبه في منتصف الثمانينيات، خلص تريفور تيلور **Trevor Taylor** إلى أن "علماء العلاقات الدولية يظهرون القليل من الدلالات حول التفكير الجاد في مكانة الرياضة في الشؤون الإنسانية العالمية" واعتبر أن "العلاقات الدولية يجب أن تمنح المزيد من الاعتبار لدور الرياضة في العلاقات الدولية".<sup>1</sup> ونظرًا لأن العلاقات الدولية، أشمل من "السياسة الدولية" فهي تدمج تلقائيًا جميع الأنشطة العابرة للحدود، حتى تلك ذات النوع الوظيفي البحت. ومع ذلك، فإن الأسئلة المثيرة للاهتمام حول الرياضة أو الأشكال الأخرى للجمعيات المدنية تتعلق بتأثيرها على الأشياء الخارجية نفسها، والتي تعني في هذا السياق طابع وتطور النظام الدولي. ورغم ذلك فلدى الباحث الأكاديمي في العلاقات الدولية العديد من نواحي التحقيق والتمحيص. ولعل الأكثر وضوحًا هو الاقتصاد السياسي الدولي، نظرًا للنمو الهائل في الرياضة الاحترافية والأموال التي تدرها من خلال مداخيل البث الإعلامي والشهار. وبعد أن أوضحت محكمة العدل الأوروبية ذلك (في حكم بوسمان من عام 1995) أن كرة القدم هي عمل تجاري مثل أي شركة أخرى. أصبحت الأندية الأوروبية الكبرى شركات دولية في حد ذاتها. وفي هذه المرحلة التي تهمين عليها الخدمات من الرأسمالية الدولية، تعد الرياضة قطاعًا رائدًا من الأعمال.<sup>2</sup>

يشير "النظام الدولي" بشكل كلي إلى تفاعل الدول والجهات الحكومية وغير الحكومية الفاعلة، وهي الطريقة الموضوعية الوحيدة لوضع تصور لأنماط متنوعة للعمل والسلوك في العالم الحديث. وفي هذه الشبكة، أصبحت المنظمات الرياضية الدولية بشكل مطرد جهات فاعلة عبر وطنية أكثر أهمية، حيث أنها تتصرف بموارد كبيرة جدا تفوق ميزانيات العديد من الدول، وغالبًا ما تشكل نقاطا محورية للنقاش السياسي، كما في حالة الخلافات حول حقوق البث التلفزيوني للأحداث الكبرى، أو استخدام الفرق الرياضية لتعزيز الانفراج السياسي كما حدث بين الكوريتين. تعكس بعض الهيئات مثل اللجنة الأولمبية الدولية **IOC** أو الاتحاد الدولي لكرة القدم **FIFA** المنظمات الحكومية الدولية - لكنها مستقلة تمامًا عنها.<sup>3</sup>

وقد مكنت الثروة المتزايدة للعديد من المنظمات الرياضية الدولية هذه السمة الداخلية الموسعة واتاحت أيضاً فرصاً لمزيد من المشاركات الدبلوماسية. على سبيل المثال، تستضيف اللجنة الأولمبية الدولية بانتظام مؤتمرات حول مجموعة متنوعة من الموضوعات التي تتقاطع فيها الرياضة والعلاقات الدولية. وتشمل الأمثلة الحديثة: الاستدامة البيئية، وحقوق المرأة، والصحة، والتنمية الاجتماعية والاقتصادية والسلام. كما تتضمن دبلوماسية المؤتمرات، مثلها مثل العديد من وكالات الأمم المتحدة، وذلك بتجنيد مسؤولين حكوميين وممثلي المنظمات الرياضية الدولية وأكاديميين ومشاهير الرياضة ودعاة ونشطاء، وغيرهم.<sup>4</sup>

لقد سارع الدبلوماسيون إلى رؤية أهمية الرياضة للهبة الوطنية منذ الثلاثينيات إن لم يكن قبل ذلك. ويُعتقد أن الصورة النمطية أو ما يسمى (بالعلامة التجارية)، تتوقف بشكل كبير على قدرة الدولة على تنظيم مسابقات كبرى وإنتاج أبطال "على مستوى عالمي". وإن لم يكن استغلال الرياضة دائماً بنفس الحدة التي أظهرتها ألمانيا الشرقية خلال الحرب الباردة، فإن الدول لا تزال على استعداد لتخصيص موارد كبيرة، - غالباً تحت الطاولة - للحصول على ميزة نمطية تفضيلية. تُظهر المعارك السياسية وفصائح شراء الأصوات المرتبطة بالقرارات المتعلقة بمكان إقامة الأولمبياد ونهائيات كأس العالم أن الرياضة تتعرض لضغوط من الدول فضلاً عن المصالح التجارية أثناء محاولتها إدارة أعمالها الخاصة.<sup>5</sup>

يمكن للمرء أن يعترض على أن استغلال المسابقات الرياضية لخدمة هبة أو دعاية بلد ما ليس ظاهرة جديدة. فقد استخدمت ألمانيا النازية قوة الرياضة في أولمبياد برلين عام 1936، والولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي اللذان اعتمدا على ميدالياتهما لإثبات تفوق نموذجهما، أو نيلسون مانديلا الذي استخدم كأس العالم لكرة القدم الأمريكية بعد انتهاء الفصل العنصري مباشرة لتعزيز وحدة البلاد.<sup>6</sup>

غالباً ما تحولت "الدبلوماسية القسرية"، أو محاولة الضغط على الخصوم بكل الوسائل عدا الحرب، إلى الرياضة كطريقة دراماتيكية وخالية من التكلفة نسبياً لإنزال العقوبة. كانت الرياضة في الخط الأمامي للاستخدام المتزايد للعقوبات خلال العقدين الأخيرين من القرن العشرين، كما هو الحال في محاولة عزل نظام الفصل العنصري في جنوب إفريقيا أو معاقبة الغزو السوفيتي لأفغانستان.<sup>7</sup>

### ثانياً: التوظيف السياسي للرياضة

بعد الحرب العالمية الأولى أصبحت الرياضة تحظى باهتمام كبير من طرف الحكومات بمختلف عقائدها وتوجهاتها، حيث تم تضمينها في السياسات المحلية والخارجية. وقد بدأ السياسيون في تقدير إمكاناتها كوسيلة

للقيم والسياسات الوطنية وخاصة لإظهار فاعلية الأيديولوجية السياسية والترويج لها. خلال عشرينيات وثلاثينيات القرن الماضي، كانت الرياضة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالعلاقات الدولية. وعلى وجه الخصوص في البلدان التي كان للدولة فيها سيطرة مباشرة على الرياضة - الدول "الاستبدادية" كالاتحاد السوفيتي وألمانيا وإيطاليا وإسبانيا، حيث نمت الرياضة لتصبح عنصراً مساعداً في السياسة الخارجية. وهكذا كانت المنافسة الرياضية مقيدة باعتبارات سياسية غالباً ما حولت المسابقات الرياضية البحتة إلى منافسات أخرى: الشيوعية ضد الرأسمالية، الفاشية ضد الديمقراطية الليبرالية، الشيوعية ضد الديمقراطية الاجتماعية.<sup>8</sup>

كانت الرياضة مقبولة على نطاق واسع باعتبارها واحدة من المجالات القليلة لمنافسة القوى العظمى خلال سنوات الحرب الباردة، حتى لو كان الخطاب موجهاً للاستهلاك الإعلامي أكثر مما كان يُعتقد من قبل القادة السياسيين ومستشاريهم. ومع ذلك، فقد تبني العديد من قادة العالم الثالث النجاح الرياضي بشكل أكثر جدية، لأسباب ليس أقلها أن لديهم فرصة أو قوة أقل بكثير لإحداث تغيير سياسي. تقدم أفريقيا جنوب الصحراء العديد من الأمثلة على القادة الوطنيين الذين يستغلون الرياضة ونجوم الرياضة العالميين لتحقيق مكاسب سياسية. كانت الطبيعة الضعيفة وغير المستقرة للعديد من الأنظمة السياسية في هذا الجزء من العالم بعد الاستقلال تعني أن الاستقرار الداخلي والآفاق الاقتصادية المستقبلية كانت دائماً محور الأزمات. سرعان ما مرت نشوة ما بعد الاستقلال وأدت الانقسامات اللغوية والعرقية والقبلية التي كانت واضحة لأجيال إلى إحداث الكثير من التوتر والقلق. الكفاح من أجل الاستقلال في كثير من الأحيان أخفى هذه الانقسامات، ولكنها في معظم الحالات عادت إلى الظهور من جديد.<sup>9</sup>

بالنسبة لمحبي الرياضة، تعتبر كرة القدم مثلاً طريقة رائعة لتعزيز الصداقة بين الشعوب. إنها أداة سلمية للتقارب تسمح بالتنمية المتناغمة للعلاقات بين الأمم. حسب رأيهم، يساهم الاتحاد الدولي لكرة القدم (الفيفا)، وكذلك اللجنة الأولمبية الدولية، في إحلال السلام على الأرض، أكثر بكثير من الأمم المتحدة. ونفس الأشخاص يعتقدون أنها تستحق، بالتالي، جائزة نوبل للسلام أكثر بكثير من بعض الحاصلين عليها. بينما يرى المنتقدون للمسابقات الرياضية العكس من ذلك، وأنها مناسبة لانفجار غير منضبط للمشاعر القومية، وتوليد نوبات كراهية ضد الأجانب. فالدعم للمنتخب الوطني يمكن أن يتحول إلى كراهية تجاه الشعوب الأخرى، تجاه الآخرين، تجاه الأجانب الذين يصبحون خصماً يجب أن يُهزم بأي ثمن وبكل الوسائل.<sup>10</sup> ولعل خير دليل على ذلك ما حصل في مقابلة الجزائر ومصر خلال التصفيات المؤهلة لكأس

العالم 2010، حين حاول النظام المصري آنذاك استغلال هذه المناسبة الرياضية من أجل تمرير مشروع توريث الحكم لابن الرئيس جمال مبارك، حيث شن الاعلام المصري حربا إعلامية على الجزائر وشعبها وحتى شهدائها، ما زالت آثارها لم تمح حتى الآن.

ونظراً لأن الرياضة أصبحت عالمية، فقد أصبحت أكثر انخراطاً في السياسة، وشكلت عرضاً مهماً للسلطة السياسية وحتى في أكثر الأمور السياسية اليومية. طوال القرن العشرين، استخدمت الديكتاتوريات بمختلف أنواعها القوة الكاريزمية للرياضة لقضاياها الخاصة، والتي غالباً ما تكون شائنة. وهناك أمثلة كثيرة عل ذلك، كنسخير أدولف هتلر لدورة الألعاب الأولمبية في برلين عام 1936 لأغراض الدعاية لنظامه، أو قيام حكام الصين بنفس الأمر بعد اثنين وسبعين عاماً من استمئاع بينيتو موسوليني بفوز بلاده بكأس العالم الثانية في كرة القدم مع استضافة إيطاليا الفاشية، أو المجلس العسكري الأرجنتيني الذي اكتسب الشرعية التي كان فاقدا لها بفوز المنتخب الوطني بكأس العالم 1978.<sup>11</sup> ومع ذلك، حتى بالنسبة للسياسيين في الديمقراطيات الليبرالية في العالم الصناعي المتقدم، فقد أصبح من الشائع التظاهر باهتمام عميق بالرياضة. وهكذا، كان من الطبيعي تماماً أن يوقف توني بلير، رئيس الوزراء البريطاني سابقاً، اجتماعاً حاسوبياً على شبكة الإنترنت عند تلقيه نبأ إصابة ديفيد بيكهام بكسر في قدمه اليمنى، وبالتالي لم يكن قادراً على اللعب مع إنجلترا في المباريات الحاسمة. وبالمثل، قام نظيره الألماني جيرهارد شرودر بجدولة جميع اجتماعات مجلس وزرائه حتى لا تتزامن مع مباريات الفريق الألماني خلال بطولة كأس العالم التي أقيمت في اليابان وكوريا الجنوبية سنة 2002.<sup>12</sup>

### ثالثاً: الأحداث الرياضية وأشكال العمل السياسي

إذا كان من السهل تحديد الأزمات والتوترات السياسية إلى حد ما، بقدر ما هي معروفة ومدرجة من قبل مؤرخي العلاقات الدولية، يبقى تحديد طبيعة وحدود الوسائل المستخدمة فيما يمكن أن يسميه المرء الاستخدام السياسي للرياضة (التجمعات الرياضية). وبالتالي، فإن الأزمة السياسية بين دولتين، عندما يُحكم بأنها خطيرة، يمكن ترجمتها إلى مجال العلاقات الرياضية الدولية من خلال ما يلي.<sup>13</sup>

- **الدعاية:** هنا الملاحم الرياضية التي يقدمها الفريق الوطني تساهم في تعزيز صورة الاحترام في العالم، والقوة والحيوية، وحتى شرعية النظام السياسي. خلال الثلاثينيات من القرن الماضي، تم تعزيز انهيار

جزء صغير من الجمهور الفرنسي بالأنظمة الاستبدادية على نجاح الرياضيين الإيطاليين والألمان في إثبات أن الإرادة السياسية يمكن أن تسهم في الاستحقاق الوطني وتحسين العرق.

- **تجميد أو حظر المسابقات الرياضية بين المنتخبات الوطنية:** يجوز للحكومة أن تمنع فريقها التمثيلي من مقابلة كذا وكذا خصم لأسباب سياسية بحتة. سيكون هذا استخدامًا سياسيًا للرياضة لأغراض الانتقام. في سبتمبر 1919، استسلم فريق كرة القدم الفرنسي لأمر الاتحادات الرياضية البريطانية، ورفض مقابلة الفريق السويسري - لأنه لعب مباراة ضد الألمان. كان الهدف الضغط على الرأي العام ليساعد في تغيير السياسة الخارجية لحكومته. استُخدمت عمليات المقاطعة، المعروفة جيدًا في عصرنا، من قبل جميع الحكومات (وليس فقط تلك الأنظمة الاستبدادية) خلال فترة ما بين الحربين العالميتين. كان هذا هو الحال مع فريق الدراجات الإيطالي في عام 1936، والذي لم يشارك في سباق فرنسا للدراجات بأمر من موسوليني بعد القضية الإثيوبية وعقوبات عصبة الأمم. وبعد بضعة أشهر، ألغيت مباراة كرة قدم بين هولندا وألمانيا قبل أيام قليلة من زواج الأميرة جوليانا، ولية عرش هولندا، من الأمير الألماني برنارد دي ليبي، خوفًا من مظاهرات مناهضة لألمانيا. كان هذا الحادث هو الذي قرر الرايخ بسببه قطع جميع العلاقات الرياضية مع هولندا. وبالطريقة نفسها، منعت الحكومة الفرنسية فريقها الوطني لكرة القدم من لقاء إيطاليا والبرتغال في عام 1937، ثم ألمانيا في عام 1938، خوفًا من إثارة الاحتجاج الجماهيري ضدها، على الرغم من أن اتحاد الرياضة الألماني ذكر في الحالة الألمانية أن لاعبي كرة القدم الفرنسيين القادمين إلى ألمانيا سوف يكونون محميين من كل المشاعر القومية وكرهية الأجانب. وهكذا، كان الموقف الذي اتخذته القوى الأوروبية الكبرى تجاه الرياضة التنافسية بين الدول سياسيًا، تحدده السياسة، ويتجلى عادةً في إقناع الاتحادات الرياضية الوطنية بـ "اتباع خط الحزب". من ناحية أخرى، قد يكون الحدث الرياضي ذريعة لتصلب السياسة الخارجية، كما تشهد عليه الأحداث المتكررة نسبيًا التي صاحبت عزف الأناشيد الوطنية بعد عام 1925.

- **خلل في النظام والعنف:** يمكن أن يؤدي التعبير الشعبي عن عدم الرضى إلى حدوث خلل في النظام والعنف سواء في الحدث الرياضي نفسه أو في الدولة التي يُقام فيها، أو كليهما. من خلال الكلمة والفعل، يمكن أن يؤدي إلى نوع من القومية المتعصبة وكرهية الأجانب، ويمكن أن تكون المشاعر "المعادية" التي يتم التعبير عنها سياسية أو رياضية.

#### رابعاً: الرياضة كأداة للاتصال السياسي

تعود الاستخدامات الأولى للرياضة كأداة للاتصال السياسي إلى بداية القرن العشرين وكانت الدول هي التي فهِمت بسرعة جميع الفوائد التي يمكن أن تجنيها منها. ففي ألعاب 1908، ظهرت فنلندا، التي ضمت في ذلك الوقت إلى روسيا، بألوانها الخاصة، مما أظهر الايحاء لادعاءات الهوية. خلال القرن العشرين، سيكون استخدام الرياضة كقناة اتصال حول الهوية الوطنية ثابتاً في أشكال ثانوية (اعتراف اللجنة الأولمبية الدولية لدولة ما) أو بأشكال أكثر عدوانية. ثم، وبسرعة كبيرة، يتم تكوين الرابط في اللاوعي الجماعي بين الرياضيين الفائزين وقوة البلد. وهكذا، على هذا النحو، رفض الفرنسيون والإنجليز السماح للرياضيين الألمان بدخول ألعاب 1920 خوفاً من التغلب عليهم وأن يظهر الألمان منتصرين، بعد انتهاء أربع سنوات من الحرب. بعد ذلك، أخذ النظامان الإيطالي والألماني الأمور خطوة إلى الأمام، حيث قاما بتوسيع نطاق الارتباط ليس بين الدولتين فحسب، ولكن بين النظامين السياسيين: النظام السياسي "الجيد" من شأنه أن ينتج رياضيين استثنائيين. كما تم استخدام إضفاء الشرعية على النظام داخل البلاد أيضاً مقابل الخارج وأصبح عنصرًا مهمًا في تكوين صورة الأمة.<sup>14</sup>

حاول فاعلون آخرون استخدام الرياضة لأغراض الاتصالات. بادئ ذي بدء، الأقليات، سواء الأمريكيين الأفارقة في ألعاب المكسيك مع سميث وكارلوس أو التبتيين في ألعاب بكين. ثم الحركات التحررية من خلال تفجير ميونيخ. وفي الوقت الحالي تستخدم بعض المنظمات غير الحكومية الألعاب الرياضية لممارسة الضغط، ولا سيما منظمة السلام الأخضر على الجانب البيئي ومراسلون بلا حدود خلال دورة ألعاب بكين.<sup>15</sup>

لقد أصبحت الألعاب مهمة للغاية من حيث الاتصال لدرجة أنها تجذب العديد من الفاعلين الذين يحاولون استخدام أدواتهم ووسائلهم الخاصة لإيصال رسائلهم، والتي غالبًا ما تكون بعيدة كل البعد عن الاعتبار الرياضية.

#### خامساً: الرياضة كآلية للدبلوماسية العامة

تزرع الرياضة الحديثة خصوصيات تجعلها ناقلاً فعالاً بشكل خاص للقوة الناعمة: الشعبية، والتغطية الإعلامية القوية، والعالمية، والحياد السياسي، وما إلى ذلك. إنها تتجاوز الحدود وتعبئ السكان، والشباب على وجه الخصوص. مما يحتم على الدولة أن تأخذ الرياضة في الاعتبار عند رسم وتنفيذ استراتيجيات

الاتصال والتأثير الخاصة بها، زيادة على كونها قطاعا اقتصاديا يبحث باستمرار عن التمويل والتوسع، حيث يمكن للدول والشركات تحقيق مكاسب عظيمة من خلالها.<sup>16</sup>

تاريخياً، يشير مصطلح الدبلوماسية الرياضية إلى استخدام المسابقات الرياضية الرمزية لتنظيم التقارب بين دولتين. على هذا الأساس انتشر عالمياً ما يسمى بدبلوماسية "تنس الطاولة". ففي خضم الحرب الباردة، وبعد سنوات قليلة من الانقسام الصيني السوفياتي في أوائل الستينيات، وجدت الولايات المتحدة والصين نفسيهما في وضع استراتيجي خاص - تقاسم عدو مشترك - مما دعم التقارب بين مصالحهما. فبعد بعض الاتصالات السرية الأولية، قرر **ماو تسي تونغ** الاستفادة من وجود فريق تنس الطاولة الأمريكي في اليابان لدعوتهم إلى الأراضي الصينية. حيث ساهم ذلك في تخفيف بعض التوتر بين الأمريكيين والصينيين ونشر الدعاية الكافية لبدء التقارب، ثم تم إضفاء الطابع الرسمي عليه سياسياً خلال زيارة الرئيس الأمريكي ريتشارد نيكسون إلى الصين في فيفري 1972. ومنذ ذلك الحين، تم استخدام مصطلح **الدبلوماسية الرياضية** للدلالة على المواقف المشابهة.

ومع ذلك، لا يمكن اختزال مفهوم الدبلوماسية الرياضية في وصف هذه التبادلات الثنائية حيث تظل الرياضة ذريعة فحسب. لقد نظرت العديد من التحليلات بالفعل في استخدام الأحداث الرياضية الكبرى من قبل الدول، وظلت حالة أولمبياد برلين عام 1936 هي النموذج الأصلي لهذا النوع.<sup>17</sup>

كان لمجالات الرياضة والدبلوماسية علاقات طويلة، وغالباً ما كانت محفوفة بالمخاطر، ولا تحظى بالتقدير بشكل عام، على الأقل منذ ظهور الحركة الأولمبية الحديثة في أواخر القرن التاسع عشر. نظراً لما تتمتع به الرياضة الحديثة من وضوح وشعبية وإمكانات حشدية لا مثيل لها، مصحوبة بمظاهر قوية للهوية (وطنية، إقليمية، محلية، طائفية، إثنية، إلخ)، فليس من المستغرب مشاهدة الفرق الرياضية والأحداث والأماكن كأدوات مقنعة للطموحات السياسية والدبلوماسية لكل من الحكومات ومجموعة الجهات الفاعلة المشاركة في "دبلوماسية الشبكة".<sup>18</sup>

لقد أدركت العديد من الدول هذا جيداً، حيث أدرجت الرياضة لفترة طويلة في اتصالاتها الدبلوماسية، ولا سيما لتأكيد تفوق نموذجها الأيديولوجي (سبارتاكياديس<sup>19</sup> من الدول الشيوعية من عام 1928، وكأس العالم "موسوليني" لعام 1934، وألعاب برلين عام 1936، إلخ.). وبالتالي، فإن الدبلوماسية الرياضية ليست جديدة: فهي أداة للتواصل والاعتراف الدولي، وهي الآن متكاملة ومؤسسية. فقد قام وزير الخارجية الفرنسي

لوران فايوس **Laurent Fabius** في عام 2014 (بالاشتراك مع وزير الرياضة في ذلك الوقت، فاليري فورنيون)، بتحديد الدبلوماسية الرياضية في شخص سفير الرياضة (عام 2016، فيليب فينوغرادوف) داخل وزارة أوروبا والشؤون الخارجية آنذاك. وقد أشار الموقع الإلكتروني لهذه الوزارة بوضوح إلى أنها في خدمة النفوذ الفرنسي في العالم، ولكن أيضًا في خدمة اقتصادها وتوظيفها وجاذبيتها، من بين أمور أخرى فيما يتعلق بالأحداث الرياضية الكبرى.

تُستخدم الرياضة أيضًا كأداة للوساطة، مما يجعل من الممكن تجديد العلاقات الدبلوماسية المقطوعة، كما يتضح من المثال التاريخي لدبلوماسية "تنس الطاولة"، أو الفريق الكوري الموحد في دورة الألعاب الأولمبية الشتوية سنة 2018.<sup>20</sup>

### سادسا: المنظمات الرياضية الدولية كجهات دبلوماسية فاعلة

تعود الطبيعة السياسية الدبلوماسية للرياضة الدولية، جزئيًا، إلى الدور التكويني للجنة الأولمبية الدولية (IOC)، والحركة الأولمبية التي تقودها، ومهمتها الاجتماعية - الأولمبية - في السياسة العالمية. على الرغم من أن المشاركات الرياضية الدولية والعابرة للحدود لم تكن غير شائعة قبل تأسيس اللجنة الأولمبية الدولية في عام 1894، إلا أن **بيير دي كوبرتان Pierre de Coubertin** (باعت مؤسس الألعاب الأولمبية في العصر الحديث) قد شَبَّع هذه المنظمة غير الحكومية بهدف دبلوماسي صريح يتمثل في الترويج لنوع بارز من "الأمية" الثقافية.<sup>21</sup>

نظرًا لامتيازات والحصانات الواقعية التي تتمتع بها باستمرار، على سبيل المثال (البعد الخارجي، والإعفاءات القانونية، وإبرام المعاهدات والرصد، وما إلى ذلك)، تتمتع اللجنة الأولمبية الدولية بالتكافؤ الوظيفي مع المنظمات الحكومية الدولية. في الواقع، تحترم الدول قراراتها وسلطاتها القضائية بشكل أكثر موثوقية من العديد من المنظمات الحكومية الدولية. وبالإضافة إلى ذلك، فإن تسويق "العلامة التجارية" الأولمبية على مدى العقود العديدة الماضية جعل اللجنة الأولمبية الدولية منظمة غير حكومية ثرية للغاية، لدرجة أن الكثير من سلوكياتها وسياساتها، وتدابيرها المحاسبية تشبه إلى حد كبير شركة متعددة الجنسيات كبيرة. وعلى هذا النحو، تجسد اللجنة الأولمبية الدولية العناصر الرئيسية لثلاثة أنواع من الجهات الفاعلة الأربعة التي تميز دبلوماسية الشبكة المعاصرة (مثل المنظمات غير الحكومية والمنظمات الحكومية الدولية

والشركات متعددة الجنسيات). هذا الدور الغريب ولكن القوي يجعل اللجنة الأولمبية الدولية والحركة الأولمبية مرتبطين بشكل فريد بالدبلوماسية الدولية.<sup>22</sup>

ومع ذلك، فإن اللجنة الأولمبية الدولية هي واحدة فقط من العديد من المنظمات الرياضية الدولية (ISO). هناك مجموعة أجنبية حقيقية من المنظمات التي تحكم بشكل أساسي جميع التخصصات الرياضية، وتنظم الأمور القانونية أو الإعلامية أو الطبية أو غيرها من الأمور الفنية اللازمة للرياضة الدولية، وتشرف على الأحداث الرياضية الدولية التي تنطوي على تخصصات متعددة. على عكس الغرض الاجتماعي الدافع للجنة الأولمبية الدولية، فإن العديد من معايير المنظمات الرياضية الدولية هذه لم تتطور بالضرورة من (ولكن ربما تكيفت لاحقاً مع) التفاني (لوسم كوبرتان الأممي)<sup>23</sup>. وبدلاً من ذلك، ظهرت معايير المنظمات الرياضية الدولية هذه عادةً كاستجابة للقوى البيروقراطية العقلانية التي جعلت المنافسة الدولية وعبر الوطنية ممكنة من خلال التوحيد القياسي وتنسيق التقويم والوساطة من خلال الإجراءات القانونية، وفي كثير من الأحيان، الاتصالات والمداولات المركزية. مع زيادة تعقيد الرياضة الدولية طوال القرن العشرين، ظهرت منظمات من الدرجة الثانية للتعامل مع الأمور التقنية التي ثبت أنها متخصصة للغاية، أو معقدة للغاية من الناحية القانونية، أو واسعة النطاق للغاية بحيث لا يمكن لأي منظمة رياضية واحدة التحكم فيها.<sup>24</sup>

من أجل الفهم الكامل لأهمية الرياضة في الدبلوماسية الدولية، من الضروري فهم دور المنظمات الرياضية الدولية في النظام الدبلوماسي. فمن ناحية، تعلن معظم المنظمات الرياضية الدولية أن هياكلها البيروقراطية تخدم غرضاً دبلوماسياً راقياً: (السلام الدولي والتسامح من خلال التبادل الرياضي). ومن ناحية أخرى، تعمل هذه المنظمات الدولية للتوحيد القياسي أيضاً كمنظمات متعددة الأطراف أو ساحات للتواصل الدبلوماسي في حد ذاتها. ونظراً لأن العالمية هي المعيار الأساسي بين المنظمات الرياضية الدولية، يمكن للأعضاء الوطنيين الذين يشكلون المنظمة عادةً أن يعملوا في كثير من الأحيان بصفتهم وفود دبلوماسية تمثل مصالح بلدانهم الأصلية. وبالتالي، يمكننا القول أن المنظمات الرياضية الدولية هي جهات فاعلة دبلوماسية في حد ذاتها، وتسعى وراء القضايا الاجتماعية في السياسة العالمية، وهي بمثابة منبذات للتبادل الدبلوماسي بين الوحدات الداخلية والوطنية التي تتبع بشكل عام ملامح دبلوماسية "النادي" التقليدية.

نظرًا لزيادة النطاق وعدد الجهات الفاعلة وتعقيد الدبلوماسية في العقود الأخيرة، فقد كافحت المنظمات الرياضية الدولية من أجل التكيف. حيث غيرت الجهات الفاعلة الجديدة، والقضايا، ومستويات المشاركة، والتعقيدات جوهر الدبلوماسية التي تقودها المنظمة الرياضية الدولية وكذلك الممارسات الدبلوماسية التي تحدث داخل المنظمات. لا يوجد مكان أكثر وضوحًا من العمليات التنافسية والمخاطر العالية التي يتم من خلالها منح الأحداث الرياضية الكبرى (خاصة الأولمبياد وكأس العالم لكرة القدم) للمدن والبلدان المضيفة - وفي العلاقة ذات الصلة بين المنظمة الرياضية الدولية، والمعلنين التجاريين، والرعاة المتميزين من الشركات متعددة الجنسية.<sup>25</sup>

### سابعاً: الهوية الرياضية بين القومية والكوسموبوليتانية

يعتمد التعريف الكلاسيكي للدولة على ثلاثة معايير تقليدية: الإقليم، والسكان، والحكومة. يمكننا أن نضيف رابعاً: فريق كرة قدم وطني! يتميز الاستقلال الوطني اليوم بالقدرة على الدفاع عن الحدود، وصك العملة، وخوض منافسات رياضية على الصعيد العالمي. تتيح كرة القدم إمكانية التعبئة وإثبات الانتماء إلى هوية جماعية. فمن خلال التجمع معاً لدعم فريق، "فريقهم"، يعبر المشجعون عن شعور مشترك بالانتماء، وإثبات الجماعة. كما يتيح التعبير عن التناقضات المحلية أو الاجتماعية أو الدينية، ولتأكيد الذات فيما يتعلق بالآخرين. الرياضة هي محور رئيسي للتماهي الجماعي، ربما لأن المواجهة متأصلة فيها. يتنافس فريقان أو أكثر، أو شخصان أو أكثر، من أجل الفوز. وبالتالي يُفسح المجال لتحديد الهوية الجماعية بطريقة إيجابية (نحن)، والسلبية (هم).<sup>26</sup>

الرياضة هي قبل كل شيء لغة معولة، فهي من بين المحركات الرئيسية للعالمية الفعلية. على وجه الخصوص، ولكن ليس حصرياً، على المستوى المهني الأعلى ومع مؤسساتها العالمية ومنافساتها عبر الوطنية، تولد الرياضة ساحة عالمية للتفاعل الثقافي والسياسي الذي يتردد صداها مع العالمية الرياضية. وبمساعدة وسائل الإعلام الجديدة مثل الإنترنت، تطورت المساحات الرياضية العالمية وحقت أرقاماً قياسية جديدة للمشاهدة. إنها جزء من ثقافة عالمية تتجاوز المساحات الرياضية الإقليمية القائمة. هذه الثقافة الرياضية العالمية أكثر تنوعاً وعالمية من أي ثقافة. يحب المشجعون بشكل متزايد أفضل لاعبي فرقهم، لاحظ أن التركيز على "هم" مع أولئك الذين يمثلون المعارضين اقتراحاً أكثر تعقيداً بكثير من حيث أن أي "آخر" في الخصم

عادة ما يوفر فرصة مرحب بها للتعبير عن العداء والسخرية.<sup>27</sup> ففي الجزائر، ومثلها في بقية دول العالم وخاصة الدول العربية نجد مشجعي الفريقين الاسبانيين ريال مدريد وبرشلونة يتحدثون بصيغة (نحن) و (هم). بل تصل الحوارات والنقاشات بين أفراد الأسرة الواحدة حول الفريقين إلى درجة الانفعال والتعصب.

في البداية، فإن العداوات بين الفرق المحلية هي التي تسمح لنا بتشكيل هوية وتمييز أنفسنا عن المجموعة المجاورة. إذا كان هناك ناديان في نفس المدينة، فعليهما بناء هوية قوية ومميزة. قد يكون لهذا بعد ديني (في غلاسكو نجد أن فريق روجرس بروتستانت، بينما فريق سلتيك كاثوليكي) أو اجتماعي (ليفربول شعبية جماهيرية، بينما إيفرتون أكثر نخوية). وفي لندن، حيث يوجد العديد من فرق دوري الدرجة الأولى المحترفة، لكل منها هوية محددة. نحن ندعم أحد هذه الفرق لأننا ننقل نوعاً من التراث من الأب إلى الابن. يمكن التمييز أيضاً على المستوى الإقليمي: ففريق إسبانيول برشلونة مثلاً، كما يوحي اسمه، لا يشعر بالكتالونية، على عكس برشلونة الذي هو رائد النزعة الانفصالية.

فكرة القدم إذن هي مؤشر كبير للهوية الوطنية، وخاصة في البلدان التي تفتقد إلى الرموز الوطنية للاستقلالية (كشركات الطيران الوطنية، والعملات المحلية، والخدمات العامة الوطنية، وما إلى ذلك)، وبالتالي يكتسب فريق كرة القدم الوطني هنا أهمية رمزية كبرى.<sup>28</sup>

تعمل الرياضة على تشكيل واستقرار الهويات الاجتماعية وحتى السياسية في جميع أنحاء العالم، ونحن على يقين من أنهم يفعلون ذلك اليوم بتجربة غير مسبوقة. إنهم يحشدون المشاعر الجماعية وغالباً ما يواجهون الصراعات المجتمعية. لا عجب إذن أن الرياضة هي أيضاً موضوع مجموعة واسعة من الأدبيات الشعبية حول الأبطال والأساطير وتاريخ الأندية والبطولات والألعاب. تظهر الموضوعات الرياضية في الأفلام الشعبية والمسلسلات التلفزيونية وروايات أخرى متنوعة تأسر ملايين، بل مليارات، من الناس حول العالم. تطورت الرياضة إلى جزء لا يتجزأ من صناعة الترفيه العالمية. في السنوات الأخيرة، جذبت هذه الميزة الهائلة لمشهدنا الثقافي اهتماماً وشرعية متزايدة كموضوع مهم للبحث الفكري.<sup>29</sup>

وفي المقابل تحت الرياضة اليوم على عالمية ثقافية واسعة إلى درجة لا نجد لها في أي مكان آخر في "مجتمع عالمي" لا يزال منقسماً على أساس الانقسامات الاجتماعية والحدود الوطنية والصراعات الأخرى. تستمر القومية والديكتاتورية والهويات الحصرية والسلطة والمال في الحفاظ على أهميتها في الرياضة والمجتمع. ومع ذلك، فإن هذا لا يححو الارتباطات الشاملة الجديدة والولاءات المتعددة، والأهمية المتزايدة للأشكال

الجديدة للهوية العالمية التي توفرها الثقافات الرياضية بوضوح. إن كوسموبوليتانية الرياضة لا تسهل فقط الإعجاب العالمي بالأفضل - وبالتالي تولد إحساسًا يوميًا بالقواسم المشتركة العالمية ومجتمع خبراء الرياضة - ولكنها أيضًا تحول الهويات الجماعية ذات الصلة باستمرار.<sup>30</sup>

إن الكوسموبوليتانية الثقافية للاعبين العالميين والعالمية التي تسببها السوق "من فوق" تلتقي بعالمية شاملة "من أسفل". على المدى الطويل، قد يوفر هذا حصنًا مهمًا ضد العنصرية والاستبعاد الثقافي، ويشكل تحديًا كبيرًا لسياسات الهوية التي تتطلع إلى الداخل. في أوروبا، كرة القدم في طريقها لأن تصبح وسيطًا قويًا للهوية السياسية لما بعد القومية. فهناك عدد قليل من العوامل الثقافية الأخرى التي نجحت في توليد هوية أوروبية مشتركة مثل كرة القدم، وهي ظاهرة شعبية مشتركة منذ فترة طويلة والتي أصبحت لغتها المشتركة وشغفها أكثر أوروبية من خلال مسابقات الأندية مثل دوري أبطال أوروبا.<sup>31</sup>

#### خاتمة:

لا يمكن لأي أحد أن يستهين أو يقلل من الدور الذي أصبحت تلعبه الرياضة في جميع المجالات الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسة، سواء على الصعيد المحلي أو الدولي. وفي العلاقات الدولية أصبح يطلق على توظيف الرياضة كقوة ناعمة بين الدول فيما بينها، أو بينها وبين المنظمات الدولية مصطلح "الدبلوماسية الرياضية". ولعل أهم ما نستنتجه في هذه الدراسة هو أن الرياضة كأداة سياسية ودبلوماسية توظف عبر مستويات متعددة - محليا، إقليميا، ودوليا - وحسب أهداف متجانسة أحيانا، ومتضاربة في كثير من الأحيان. فهي أداة للتقارب بين الشعوب وبناء السلام أحيانا "دبلوماسية تنس الطاولة"، إلا أنها قد تصبح مجالا للصراع حين يحاول بعض الأطراف إبراز تفوق دولة أو عرق ما. كما يمكن أن توظف الرياضة من طرف دول لا تملك المقومات الجغرافية والبشرية والعسكرية من أجل إثبات وجودها وكسب نوع من الحماية الدولية، وهذا ما نجحت فيه دولة قطر إلى حد كبير بتوظيفها ما يسمى بالدبلوماسية الرياضية، أو دبلوماسية الاعتراف.

#### التهميش:

<sup>1</sup> - Lincoln Allison and Terry Monnington, "Sport, prestige and international relations" in: *The Global Politics of Sport*, (London and New York, Routledge, 2005), pp. 5-23.

<sup>2</sup> - Christopher Hill, "Prologue," in: **Sport and International Relations: An Emerging Relationship**, (London, Routledge, 2004), pp. 1-6.

<sup>3</sup> - Ibidem.

<sup>4</sup> - David Black and Byron Peacock, "Sport and Diplomacy", in: Andrew F. Cooper, Jorge Heine, and Ramesh Thakur, **The Oxford handbook of modern diplomacy**, (London: Oxford University Press, 2013), pp (708-725).

<sup>5</sup> - Christopher Hill, Op. cit.

<sup>6</sup> - Pascal Boniface, **Géopolitique du Sport**, (Paris: Armand Colin, 2014), p. 16.

<sup>7</sup> - Christopher Hill, Op. cit.

<sup>8</sup> - James Riordan, « Introduction » in: Pierre Arnaud and James Riordan, **Sport and International Politics**, (London: Routledge, 1998), pp (1-2)

<sup>9</sup> - Lincoln Allison and Terry Monnington, Op. cit.

<sup>10</sup> - Pascal Boniface, **Football et Mondialisation**, (Paris : Armand Colin, 2010), p 83.

<sup>11</sup> - Andrei S, Markovits and Lars Rensmann, **Gaming the world: how sports are reshaping global politics and culture**, (New Jersey: Princeton University Press, 2010), p. 8.

<sup>12</sup> - Ibid, p 9.

<sup>13</sup> - Pierre Arnaud, "Sport—a means of national representation", in: Pierre Arnaud and James Riordan, **Op.cit**, pp (3-13).

<sup>14</sup> - Gillon Pascal, « Une lecture géopolitique du système olympique. Olympic system : toward a geopolitical approach », *Annales de géographie*, 2011/4 (n° 680), p. 425-448. DOI : 10.3917/ag.680.0425. URL : <https://www.cairn.info/revue-Annales-de-geographie-2011-4-page-425.htm>.

<sup>15</sup> - Ibidem.

<sup>16</sup> - Verschuuren Pim, « Les multiples visages du « sport power » », *Revue internationale et stratégique*, 2013/1 (n° 89), p. 131-136. DOI : 10.3917/ris.089.0131. URL : <https://www.cairn.info/revue-internationale-et-strategique-2013-1-page-131.htm>

<sup>17</sup> - Verschuuren Pim, Op. cit.

<sup>18</sup> - David Black and Byron Peacock, Op. cit.

<sup>19</sup> - أنظر : <https://fr.wikipedia.org/wiki/Spartakiade>

<sup>20</sup> - Côme Thierry, Raspaud Michel, « La diplomatie sportive, enjeu stratégique pour le Qatar », *Hermès, La Revue*, 2018/2 (n° 81), p. 169-175. DOI : 10.3917/herm.081.0169. URL : <https://www.cairn.info/revue-hermes-la-revue-2018-2-page-169.htm>

<sup>21</sup> - David Black and Byron Peacock, Op. cit.

<sup>22</sup> - Ibidem.

<sup>23</sup> - كان حلم بيير دي كوبرتان **Pierre de Coubertin** (باعت ومؤسس الألعاب الأولمبية في العصر الحديث) بإحياء الألعاب الأولمبية هو إنشاء حركة اجتماعية ذات قاعدة عريضة تحتفل من خلال الرياضة، بالثقافة الجسدية والفن، وتعزز التفاهم الدولي، وتلهم الناس للوصول إلى أعلى وأبعد بينما تزداد قوة في الجسم والعقل. وكان مقتنعا بأن النموذج الأولمبي سيساعد في تعزيز القيم العالمية مثل التفاهم المتبادل والصداقة والتسامح والتي بدورها ستساهم في بناء عالم أفضل وأكثر سلامًا. بعد أكثر من مائة عام، ظلت هذه المثل العليا أساس النظام الأولمبي و"شعاره".

<sup>24</sup> - David Black and Byron Peacock, Op. cit. 399

<sup>25</sup> - Ibidem.

<sup>26</sup> - Pascal Boniface, *Football et Mondialisation*, Op. Cit, p 58.

<sup>27</sup> - Andrei S, Markovits and Lars Rensmann, Op. cit., p 35.

<sup>28</sup> - Pascal Boniface, *Football et Mondialisation*, Op. cit. pp (58-59).

<sup>29</sup> - Andrei S, Markovits and Lars Rensmann, Op. cit. p 3.

<sup>30</sup> - Ibid. p 31.

<sup>31</sup> - Ibidem.